Enlightenment collection's
EISSN: 2830-8719 / ISSN:2716-7852
V:13, N°:3 – 2023, P.P : 208-226

سلسلة الأنوار
EISSN:2830-8719 / ISSN: 2716-7852
المجلد 13، العدد 3-2023، ص.ص: 208-226

في سبيل ذاكرة انسانية عادلة "بول ريكور أنموذجا"

For the sake of a faire humane Memory "Paul Ricœur as a model"

برتيل لميس

جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم /(الجزائر) (lamiss.berretil.etu@univ-mosta.dz)

تاريخ الاستلام : 2023/08/01 ؛ تاريخ القبول : 2023/11/02 ؛ تاريخ النشر : 2023/12/20

الملخص

تسعى هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على المساءلة الأخلاقية، التي أقامها الفيلسوف بول ريكور لملكة الذاكرة المسؤولة عن حفظ ما يعيشه الإنسان من أحداث في حياته، غير أن هذه الأخيرة غالبا ما تخضع لاضطرابات نوعية و تتأثر بعوامل مختلفة تؤدي بها إلى مواقف خلقية متناقضة، وتجعل منها في حيرة من ازاء اي تاريخ تستعيد وتتملك من جديد؛ واي تاريخ تنسى، بل وتصبح غير قادرة على جمع كل تفاصيل التجربة الحياتية لوجود عوارض وتغيرات تسهم في تعميق هوة التلاعب بها ونسيانها، وهو ما يترتب عنه اشكالا من الاساءة والصراع والحرب...، التي لا سبيل لتجاوزها إلا من خلال تأسيس ذاكرة عادلة سعيدة، تسامح وتغفر لكن دون ان تنسى، ذاكرة تجعل من الأنا قادرة على العيش مع غيرها في أفق كوني مشترك يغلب عليه السلام رغم ما حمله الماضي من ألام.

الكلمات المفتاحية: الذاكرة العادلة– التاريخ – النسيان– العفو – الذات والآخر– بول ريكور.

Abstract

This research paper endeavors to elucidate the ethical responsibility posited by philosopher Paul Ricoeur for the custodian of memory, who bears the duty of retaining recollections of significant events in an individual's life. However, the latter is frequently susceptible to qualitative disorders and influenced by various factors that engender conflicting moral outlooks and engender bewilderment regarding any restored or reacquired history; any history is forgotten and even incapable of amassing all the intricacies of life experiences owing to symptoms and alterations that contribute to exacerbating the chasm of manipulation and forgetfulness, ultimately resulting in instances of exploitation, discord, and warfare... which can solely be surmounted through the establishment of an equitable and felicitous memory. This entails pardoning and absolving, albeit without erasure from recollection, a memory that enables the ego to coexist harmoniously with others within a shared cosmic realm governed by peace, notwithstanding the anguish of bygone times..

Keywords :just memory- history- oblivion- amnesty- the self and the other- paul ricoeur.

1.مقدمة:

لا شك أن الإنسان كائن تاريخي بامتياز، من حيث أنه يحيا في الزمن وعبر الزمن بأبعاده الثلاث" الماضي والحاضر والمستقبل"، إذ تبنى حياته على جملة من الأحداث الزمانية التي لا يستمر وجودها ولا يستقيم إلا في الذاكرة، من منطلق كونها الوعاء الحاوي والحامي والحافظ لتجاربنا اليومية، غير أن هذا لا يعني أن مهمة هذه الملكة تقتصر على التسجيل الآلي للأحداث فحسب، بل لها وظائف وأشكال متعددة تختار من خلالها ما تحفظه، لذا فهي تبنى على مراحل قد تخضع كل منها إلى اضطرابات نوعية، كما يمكن أن تتأثر بعوامل مختلفة (اجتماعية- سياسية- إيديولوجية- ثقافية...) تؤدي بها إلى مواقف خلقية متناقضة تجعل منها غير قادرة على جمع كل تفاصيل التجربة التاريخية الحياتية لوجود عوارض وتغيرات تسهم في تعميق هوة التلاعب بها ونسيانها، وهو ما يترتب عنه في كثير من الاحيان اشكالا من الاساءة والصراع والحرب...، التي تجعل من الذات الانسانية تعيش حالة من الاغتراب عن ذاتها وغيريتها.

إذ لا يخفى علينا اليوم أن نقول أن القرن العشرين كان قرنا للحرب والعنف والصراع بامتياز، ولكنه في ذات الوقت كان قرنا لإحياء الكثير من الذكريات عبر إقامة احتفالات تذكارية ومذكرات وأعياد وطنية مخلدة لها، في ظل كل هذه الوقائع وجدت الذاكرة نفسها في حيرة من أمرها؛ ازاء اي تاريخ تستعيد وتتملك من جديد وأي تاريخ تنسى، ولعل هذه أحد أهم الأسباب التي جعلت من راهنية طرح سؤال الذاكرة أكثر من ضرورة، كما يشيد بذلك الفيلسوف الفرنسي بول ريكور **Paul Ricoeur** "1913-2005" الذي حاول تجاوز كل المشاكل التي تصيب الذاكرة الانسانية من خلال البحث عن سياسة تحكمها فتجعل منها سعيدة قادرة على تجاوز كل مظاهر الشقاء والحزن والألم الذي يخلفه لها التاريخ من جهة والنسيان من جهة أخرى، فتغفر وتعفو لكن دون أن تنسى دروس الماضي حتى يتسنى لها أن تمضي في هذا التاريخ.

ومن هذا المنطلق يحق لنا أن نطرح جملة من التساؤلات التي نسعى أن نقدم للقارئ اجابة عليها في ثنايا هذه الورقة البحثية، وهي كالتالي:

هل تطعيم الذاكرة بقيم خلقية كالعدل يمكننا من جعل الماضي مرئيا كما لو كان حاضرا الآن من جهة، وبناء مستقبل مشرق للإنسانية من جهة أخرى؟ أو بعبارة أخرى **كيف يمكن صناعة ذاكرة عادلة بحيث تكون معبرة عن التاريخ الشامل متحررة من التعصب بأنواعه؟**

تهدف هذه الورقة البحثية في مبتغاها العام إلى تعريف القارئ – خاصة العربي– على مختلف تلاوين التوظيف السياسي للذاكرة وكذا تلمس المسارات التي يقترحها بول ريكور في تنقية هذه الذاكرة مما قد يلحق بها من عوالق، وبناءً على هذا ارتأينا طرح مجموعة من المحاور لما رأينا فيها من أهمية في معالج هذا الموضوع استشكالا واستدلالا، معتمدين في معالجة محاور هذا المقال على جملة من المناهج، منها : المنهج التحليلي في تحليل الأفكار والمفاهيم وتبسيطها مع الاستعانة بمناهج اخرى كالمنهج التاريخي والنقدي.

2. ماهية الذاكرة:

تمثل الذاكرة بالنسبة للإنسان جانبا أصيلا من جوانب حياته الشخصية، لهذا فإن التفكير والبحث في الإشكاليات التي تطرحها يحيلنا بادئ ذي بدء إلى وضع مصطلح الذاكرة في سياقه الدلالي والمفاهيمي الدقيق.

تعرف الذاكرة "Mémoire" المأخوذة من الكلمة اللاتينية "Memoiria"؛ بأنها القدرة على احياء حالة شعورية مضت وانقضت مع العلم والتحقق أنها جزء من حياتنا الماضية، وقد عرفها حكماؤنا القدماء؛ بأنها قوة تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعاني وتذكرها، أو هي احضار للشيء إلى الذهن بحيث لا يغيب عنه وهي ضد النسيان، أو هي تلك القوة التي تدرك بقاء ماضي الكائن الحي في حاضره، وذلك من حيث كونها وظيفة عامة للجهاز العصبي تنشأ عن اتصاف العناصر الحية بخاصية الاحتفاظ بالتبدلات التي تطرأ عليها وبقدرتها على ربط هذه التبدلات بعضها ببعض **(جميل صليبا،1982، ص585)**، وبهذا فالذاكرة هي تلك القدرة التي تمكننا من الاحتفاظ ببعض الأشياء والمعلومات في الذهن مع القدرة على تذكرها واستحضارها في الحاضر وكذا استخدامها.

أو هي ذلك المصطلح العام الذي يطلق على تلك الميزة لدى الكائنات الحية، والتي بفضلها تترك الأشياء التي يخبرها المرء خلفها آثارا تقوم بتعديل التجربة والسلوك في المستقبل، فالإنسان له

تاريخ بفضل وجود الذاكرة، وهذا التاريخ مسجل في داخل النفس، وتكمن الذاكرة وراء كل تعلم لأن طابعها الجوهري هو الحفظ، وتشمل الذاكرة بمعناها الضيق التذكر والاستحضار والإدراك من جديد **(محمود عواد،2006، ص296)**، وعليه فالذاكرة حسب اجماع الباحثين هي اعادة بناء للماضي من خلال الترسيخ الذهني لجملة الذكريات والخبرات والتجارب المعاشة أو المنقولة والتي تشكل وعي الإنسان وتحدد قدرته على التعامل مع الحاضر الراهن.

لا شك أن الاتجاه نحو البحث في الذاكرة لدى مجتمعات عديدة حتى وإن كان قديم قدم التفكير الفلسفي ذاته، إلا أنه يجد منشأه الفعلي في أزمة النظام التاريخي الحديث، وكذا في انمحاء الصور وضعف الهويات، لهذا كان البحث فيها بمثابة جواب عن تلك الهويات والثقافات التي تعرضت للضرر والفقدان**(جويل كاندو،2009، ص4)**، فلقد عرفت أوروبا كما نعلم أنداك حربين عالميتين أغرقتها في ذاكرات حروبها وخنادق هوياتها المتقاتلة، لتعود وتبحث عن خلاصها عبر الإيديولوجيات والفلسفات الكبرى المتفائلة بمصير التاريخ، بعد أن كانت ذاكرة الحضارات عند كل من" أرنولد شبينجلر**Arnold Spengler** " و" أرنولد توينبي**Arnold Toynbee"** ودوراتها المفترضة بسقوط أوروبا في نازيتها وفاشيتها، أو بدورات ازدهار متبادلة بين دوائر العالم، أو بقلق وجودي، تحتار فيه الذاكرة الأوروبية ماذا تختار في زمن القلق، هذا دون نسيان العالم الثالث الذي كان يبعث بين الحين والآخر برسائل حضارية بديلة بواسطة ما يكتبه من معاني ثورية داعية للتحرر الوطني، وعن احتمال حضارة عالم ثالثية بديلة، ليتبن بعد كل هذا أنها صورة من ذاكرة أو قراءة متخيلة لتاريخ مفترض، لهذا طفى إلى السطح مع تسعينات القرن الماضي وعي تاريخي عالمي، أخذ من جديد الحديث عن الذاكرة والهويات كموضوع للنظر والتقييم **(وجيه كوثراني، 2020، ص21)**، ولعل هذا ما يتضح بشكل جلي في مدونات بول ريكور خاصة منها كتابه "**الذاكرة، التاريخ، النسيان la mémoire, l'histoire, l'oubli "**، والذي يرجع فيه اهتمامه بطرح سؤال الذاكرة إلى ما أسماه فائض الذاكرة والنسيان واساءة استعمالهما –الذاكرة والنسيان–، وكذا البحث عن سياسة قائمة على قيم ومبادئ قيمية تنصف ذاكرة الفرد والجماعة، وهو ما يعود بالطبع إلى أحداث سياسية عديدة عرفها العالم خاصة ما أطلق عليه باستحالة السلام في مناطق عديدة كإيرلندا الشمالية وفلسطين وما تطرحه الأقليات من مشكلات مختلفة في مناطق عدة، وكذا سياسات العفو الدولية والوطنية الناتجة عن الحروب الأهلية، وما حملته من عنف وتجاوزات بلغ بعضها حد جرائم

الإبادة، هذا فضلا على أن الاهتمام المفرط بالذاكرة الجماعية قد أدى بدوره إلى تقوية نسيان عذابات الآخرين وتهميشها **(الزاوي بغورة،2012، ص45)**، فكان تناول موضوع الذاكرة في ظل كل هذه المستجدات والأحداث المأساوية أكثر من ضرورة، سعيا نحو استشراف مستقبل أفضل وأكثر أمنا وسلاما لإنسان أدمى التاريخ ذاكرته بالجراح.

3. ديالكتيك الذاكرة والتاريخ والنسيان :

إن الحديث عن موضوع الذاكرة يحيلنا مباشرة إلى تحديد طبيعة العلاقة التي تجمعها بكل من التاريخ والنسيان، إذ أن هناك روابط ديالكتيكية تؤطر العلاقة الثلاثية بين هذه الحدود والتي تظهر التنافر الموجود بينهم أحيانا والتكامل أحيانا أخرى.

يتضح التمايز والتنافر الموجود بين الذاكرة والتاريخ والنسيان؛ في أن الذاكرة في كثير من الأحيان تخون التاريخ وتشوهه لعجزها وقصورها عن احتوائه ونقل مجريات أحداثه بكل أمانة ووفاء، ويعود السبب في هذا إلى كونها تقوم في عملها على جدلية الإدراك والنسيان، ما يجعلها معرضة دائما للتوظيف والتسويغ الذي يؤثر في عملية حفظها لمجريات التاريخ، إذ دائما ما تصطدم الذاكرة سواءً كانت فردية أو جماعية في مسيرة حفظها لوقائع الماضي التاريخي واحيائه في الحاضر بالنسيان الذي يشوش عملها ويشوه مخزونها المحفوظ، فيصبح بذلك النسيان نقيضا وعدوا لها يوتر علاقتها بالتاريخ، الذي هو الآخر يناقضها من حيث انه يتسبب في ترك جراح وآلام فيها، وهذا جراء سلسلة الانحرافات والانزلاقات التي تحصل بين مختلف تمثلات الماضي.

ولا شك أن الذاكرة من حيث طبيعتها ذاتية بينما التاريخ يعمل دائما على أن يكون موضوعيا قدر الامكان، فضلا على أن الذاكرة دائما ما تهتم بأثر الحدث على الفرد، في حين أن التاريخ يهتم وهو أقرب إلى التجارب الاجتماعية والجماعية، وكما لا تهتم الذاكرة كثيرا بمسألة البحث عن حقيقة الحدث بقدر ما تهتم بأثره على الفرد، فإن التاريخ دائما ما يعمل على التحقق من الحدث ومن درجة عموميته، وهو ما يسمح بالقول أن التاريخ عام والذاكرة خاصة، هذا ما جعل بول ريكور يؤكد أن المفارقة والمواجهة بين الذاكرة والتاريخ ستحصل جوهريا بين مستويين معرفيين هما عمل التاريخ واعمال الذاكرة **(Paul Ricoeur,2000,p68)**.

رغم هذا التعارض والصراع بين كل من الذاكرة والتاريخ والنسيان، تظهر في مرات أخرى علاقة التكامل والتداخل بينهما، بحيث لا يمكن أن ننكر أن الإنسان له تاريخ بفضل وجود الذاكرة التي عادة ما تقودنا مباشرة إلى التاريخ، لأنها الحاملة الأولى له ولولاها لما حفظت ولما دونت الأحداث التاريخية، وذلك لأن المصدر الأول لمعلومات المؤرخ هي الشهادة أي شهادة أولئك الذين حضروا الحدث وعايشوه والذين يتخذ المؤرخ من شهاداتهم المادة الأولية في كتابته للتاريخ، **فالشهادة** هي البنية الاساسية للمرور بين الذاكرة والتاريخ **(Paul Ricoeur,2000,p26)**، كما أن العمل التاريخي يتوقف على عمل الذاكرة ويعتمد بشكل كلي وكبير عليها، ما يعني بالضرورة أن الذاكرة هي سجل ماضي التاريخ الذي لا بد أن يعترف بأنه مدان لها، خاصة أن كتابته هي مرافعة للدفاع عن هذه الذاكرة على أنها الحافظ لماضيه والممثلة له في الحاضر **Froncois dosse,)** **2013,p200)**.

هذا وتشكل الذاكرة أيضا أرضية التاريخ التي يستند عليها، ولا يمكن له أن ينفصل عنها، وكل ما يستطيع القيام به تجاهها هو أن ينظمها وأن يترجم معناها، بترجمة ما تحمله من لحظات تصويرية للماضي في الحاضر، بحيث أننا لا نملك موردا آخر فيما يخص الاحالة إلى الماضي سوى الذاكرة عينها، فلقد ألصق بالذاكرة طموح ادعاء؛ وهو أنها أمينة للماضي **Paul)** **Ricoeur,2000,p26)** .

على الرغم من أن بول ريكور يقر باختلاف التاريخ عن الذاكرة من حيث المهمة التي تخول لكل طرف القيام بها؛ فمهمة التاريخ هي البحث عن الحقيقة، في حين مهمة الذاكرة تتمثل في الوفاء، أي أن وظيفة الذاكرة هي ضمان الاستمرارية الزمانية بالسماح بالتنقل عبر خط الزمن، بحيث تتيح التعرف على الذات، أما التاريخ فهو يحمل شيئا آخر غير الإحساس بالانتماء لنفس حقل الوعي الزمني، من خلال لجوءه إلى وثائق محفوظة في دعائم مادية، ما يسمح بالحكي انطلاقا من وجهة نظر الآخرين، **(بول ريكور، 2011، ص40)** إلا أن هذا الاختلاف لا يسمح لنا أن نفصل بينهما لأنه لا جدوى ولا وجود لحقيقة بلا وفاء ولا وفاء بلا حقيقة، إذ أنه وبالرغم من صراع ونزاع الذكريات "حرب الذكريات" التي عرفها القرن 20 كما قلنا سابقا وما صاحبها من أهوال ومآسي، إلا أن الفصل بين البحث التاريخي وبين كتابة المذكرات وتدوين الذكريات بقي غير ممكن،

حيث يرى ريكور في هذا السياق أن ما بين الذاكرة والتاريخ كما هو ما بين الوفاء والحقيقة، وبالتالي يستحيل الفصل بينهما **(الزاوي بغورة، 2012، ص60)**.

إن استخدام الذاكرة يتطلب تدخل التاريخ لأنه محرك البحث، فالتاريخ ليس سلسلة لأحداث ماضية أو اجمالا لحقائق تاريخية، ولكنه تفسير لحالة الإنسان وحياته، فليس من قبيل المصادفة أن تكون هناك علاقة بين الذاكرة والتاريخ، فإذا كانت مهمة الذاكرة هي حفظ الماضي فإن مهمة التاريخ هي بناء ما حفظته هذه الأخيرة، ولما كانت الذاكرة عبارة عن صور فإن التاريخ هو الصيغة اللفظية المعبر عنها، وعليه فالذاكرة نوعا ما هي الوعاء الذي تتجمع فيه كل الصور الماضية والحاضرة، فهي عصب التاريخ ونحن لا نملك أفضل من الذاكرة من أجل الدلالة على أن شيئا معينا قد حصل قد حدث قد مر قبل أن نعلن أننا نتذكره **(Paul Ricoeur,2000,p26)**.

وهكذا يتبن لنا أنه لا وجود لتاريخ في غياب الذاكرة ولا ذاكرة في غياب التاريخ، ذلك أن الزمان التاريخي يعاش كسرد، حيث تضع الهوية السردية تجربة الزمان المعيش وحبكته في علاقة مباشرة، في حين أنها في الواقع تمر عبر الذاكرة فحتى أسرد حياتي لا بد أن ألجا الى ذاكرتي، غير أن الذاكرة لا تستطيع أن تستوعب كل تجاربي، لذا فإن سردي يمر عبر النسيان، فالذاكرة إذن هي الحافظة الأولى للتاريخ بين قطبي الزمان والسرد، فهناك إذن تقف الذاكرة كوسيط، وهي في نفس الوقت تحوي النسيان نفسه الذي يشكل في النهاية أفقها المحدود ولكل تجاربها الانسانية"**(بول ريكور، 2009، ص14)**.

في ظل حفظ الذاكرة لوقائع التاريخ، ونقل التاريخ لما تحفظه الذاكرة من أحداث يحضر النسيان الذي يظهر لنا دائما وكأنه تهديد مقلق لكل من الذاكرة والتاريخ **(Paul Ricoeur,2000,p536)**، فنعيشه دائما كطعن ونقص وضعف في وثوقية ووفاء الذاكرة، لما حفل به التاريخ من وقائع، فيشكل النسيان بذلك تحديا حقيقيا للتاريخ والذاكرة على السواء ومن أشكال هذا التحدي ضياع الوثائق وفقدانها أو عدم حفظها وهو الشرط الاولي لعمل الذاكرة.

غير أن بول ريكور يفند هذا الاعتقاد ويقر بأنه لولا النسيان لما تمكنت الذاكرة من أن تكون مخلصة وأمينة للتاريخ، ولكنه لا يقصد هنا النسيان بمعنى النسيان –أي الضياع–؛ بل ذلك النسيان الذي يقول لنا أي ذاكرة تستحق أن نحتفل بها وأي ذاكرة علينا أن نتركها تذهب بسلام ليلفها النسيان

بسلمه(**بول ريكور،2009، ص15**)، فالنسيان في كثير من الأحيان يكون أداة ايجابية خادمة للذاكرة والتاريخ معا، وهذا في حال كان نسيانا عاديا، إذ لا يجب أن نعتبر مباشرة أن كل أنواع النسيان أشكال مرضية، بل يجب أن تعتبر الوجه الاخر الواقع في الظل للمنطقة المضاءة للذاكرة التي تصلنا بما حصل قبل أن نحفظه في ذاكرتنا "**(Paul Ricoeur,2000,p26)**، فالنسيان ليس عدو للذاكرة من كل النواحي وعلى الذاكرة أن تتفاوض مع النسيان كي تجيد تلمس القياس الصحيح لتوازنها معه" **(Paul Ricoeur,2000,p537)**، وهذا يعني أن فعل النسيان –وليس الأنساء والتناسي– هو فعل ضروري في الحياة، من حيث هو حفر في التاريخ وافتعال للثقوب السوداء التي تحرك التاريخ وتدفع نحو انفتاح الذات على الغير وتحرر الحاضر من وطأة الماضي وتخلص الحياة من هيمنة الذاكرة، هذا الانفتاح الذي لا يجد مجالا له إلا من خلال استذكار التاريخ وقراءته بنسيان، بعيدا عن الخضوع والهيمنة، أي أن قيمة التاريخ تكمن في تدخل النسيان لفرز كل ما هو ايجابي وسلبي وهي دعوة لا للخروج من التاريخ بل خروج عليه للحفاظ على حياة جيدة(**فريدريش نيتشه،2019، ص8**)، فالنسيان هو تلك الأداة التي تعين على علاج الذوات المجروحة والمهمومة من انكسارات وانحرافات ماضي التاريخ عبر فتح باب الأمل والتفاؤل من جديد.

هذا ويرى بول ريكور أن النسيان عندما يتعرض إلى مختلف أشكال الاساءة في الاستعمال الناشئة عن حرمان الفاعلين الاجتماعيين من سلطتهم في أن يرووا قصصهم بأنفسهم، فإنه يؤدي إلى انمحاء الذاكرة وبالتالي التاريخ، لذا لا بد أن نواجه سوء استعماله ونعمل على جمع الذكريات وحفظها بواسطة مؤسسات وقوانين وأدوات وطرائق في البحث وذلك باستخدام السرد والرواية والقصص والحكي وتشجيع الاستمرار فيه **(الزاوي بغورة،2012، ص52)**.

تأسيسا على ما سبق نتبين تلك العلاقة الديالكتيكية المتينة التي تجمع كل من الذاكرة والتاريخ والنسيان، بحيث يكون التاريخ حدا وسيطا بين متناقضين –التذكر والنسيان–، حدا تتكشف فيه حقيقة الذات في علاقتها بالآخر.

4. أشكال اساءة استعمال الذاكرة :

يرى بول ريكور أن العلاقة الديالكتيكية التي تربط الذاكرة بالتاريخ والنسان قد تحيد عن مغزاها وغرضها الحقيقي أحيانا تبعا لطريقة توظيفها، فتولد ذاكرة سلبية تظهر في أشكال مختفة

حيث تستطيع تقلبات الذاكرة الممرنة – المستعملة– أن تؤثر في الطموح الصدقي للذاكرة المتمثل في الوفاء في حراسة الزمن، إذ أن استعمال الذاكرة يحمل إمكانية سوء الاستعمال، وبين هذا وذاك تصبح الذاكرة مهددة بشكل كلي في استهدافها الصادق للحقيقة عن طريق سوء الاستعمال(**Paul Ricoeur,2000,p68)**، بحيث يصبح معها لا سبيل لإقامة سياسة لذاكرة عادلة دون تجاوز بعض من أشكال اساءة استعمال الذاكرة الطبيعية، والتي يقسمها في كتابه "الذاكرة والتاريخ والنسيان" الى ثلاث مستويات وهي كالتالي :

1/4 : المستوى المرضي– العلاجي: يتمثل في **الذاكرة المعاقة empêche** خصص بول ريكور هذا المستوى للحديث عن الذاكرة الجريحة بل حتى المريضة بمختلف أشكالها، حيث أن هذا المستوى متعلق بالحزن وحالة الحداد التي تحدث للذاكرة فردية كانت أو جماعية نتيجة الذكريات المؤلمة التي يعاد تذكرها وتكرارها.

لقد سبق أن أشار رواد التحليل النفسي بأن الذات الانسانية وفي مسيرة عيشها للتاريخ ومجريات وقائعه وأحداثه تتلقى أحيانا صدمات، فتلجأ في هذا المستوى إلى تعمد عدم أخذ كل ما عاشته وعرفته في الماضي، بل حتى أنها تتعمد أن تنسى جزءً كبيرا منه وتجعله في دائرة الأمور المكبوتة والمحظورة، وهذا عبر نقل تلك الوقائع المؤلمة من دائرة الوعي إلى دائرة اللاوعي، فتفكر في شيء بعينه من الماضي لكن دون الوعي بأشياء أخرى، فعمل معالجة الجروح والأحزان لا يكون إلا عن طريق الحداد الذي يعد طريق اجباري لعمل الذكرى **(Paul Ricoeur,2000,p26)**، بحيث أن كل ما يصدق على الذات والذاكرة الفردية يصدق كذلك على الذاكرة الجماعية؛ لأن كل من الذاكرة سواء كانت فردية أو جماعية فهي تعاني نفس الأمراض على اعتبار أن ذاكرة الجماعة من نتاج ذاكرة الفرد والعكس، هذا ما يجعل الذاكرة الجماعية بدورها تتحول إلى ذاكرة انتقائية تختار من الماضي ما يناسبها وتسعى لاستحضاره، وما لا تريده يدرج ضمن المكبوت الاجتماعي، وفي هذا يقر بول ريكور أن مفارقة التجربة التاريخية يكمن إما في الإفراط في الذاكرة أو نقص فيها يقبل أن يعاد تأويله تحت مقولات المقاومة والزام التكرار ويجد نفسه في النهاية خاضرا إلى الإختيار الصعب لعمل إعادة التذكر، إن الافراط في التذكر يستدعي الزام التكرار، الذي يقول عنه فرويد أنه

يؤدي إلى استبدال الذاكرة الحقيقية بالمرور إلى الفعل وبهذا يتصالح الحاضر مع الماضي(**Paul Ricoeur,2000,p96)**

يشكل الانتقال من الذاكرة الفردية الى الجماعية أحد الروابط الهامة بين الذاكرة والتاريخ، فإذا كان التاريخ شكل من اشكال الذاكرة الجماعية، فإن التاريخ بوصفه ذاكرة اجتماعية يخضع لنفس امراض واساءات الذاكرة الفردية، ما يجعل منها –الذاكرة الجماعية– تعاني أمراض وجروح مماثلة لجروح الذاكرة الفردية، فعندما تخسر جماعة ما معركة أو سكان أو أراضي فإنها تعبر عنها بتصرفات حزينة، كالتعبير عن الأسى عبر اقامة حفلات تأبينية يجتمع حولها شعب بأكمله "تصرفات حدادية" تعبر عن ذاكرة تاريخية مريضة **(Paul Ricoeur,2000,p95)** فما نحتفل به اليوم من ذكريات ما هي إلا أفعال عنيفة تم اضفاء الشرعية عليها عن طريق دولة قانونية، هكذا تخزن في ارشيف الذاكرة الجماعية والفردية جروحا تحتاج إلى علاج ودواء حتى تتعافى، ويبقى ما نتفق عليه في هذا الشكل من الاساءة أن الإنسان فردا كان أو جماعة هو وحده من يتحمل مسؤولية اصابة ذاكرته بالإعاقة.

2/4 :المستوى العملاني: يتمثل في **الذاكرة المتلاعب بها– المحرفة manipuler** هذا المستوى هو من أكثر أشكال اساءة استعمال الذاكرة والنسيان على السواء، من خلال التلاعب المقصود بالذاكرة والنسيان من قبل من يملكون زمام السلطة، بحيث تصبح الذاكرة أداتية **(Paul Ricoeur,2000,p97)**، أي كأداة instrumentalisée في يد رجال الدولة للسيطرة وفرض القوة والهيمنة، من خلال اخضاع الذاكرة الفردية والجماعية لعمليات التشويه التي تقوم بها الأيديولوجيات التابعة للسلطة السياسية، عبر اقامة احتفالات واعياد مخلدة لذكرى معينة، بحيث تفرض من وراءها إلى الزام الناس على تذكر ما تريده هي ونسيان ما تريده أيضا من تلك الأحداث، أي النسيان والتذكر بالقوة أو الاجبار، معتمدة في ذلك على سياسة أدلجة الذاكرة عبر ممارسة أشكال من الاكراه الصامت على الأخلاق والعادات في المجتمع، فتتوارث بذلك الأجيال ذاكرة ناقصة ومحرفة.

تعمل السلطة هنا على تعبئة الذاكرة من أجل خدمة السعي إلى الهوية أو طلبها أو المطالبة بها، فتنتج عن ذلك انحرافات من عوارضها المقلقة : الافراط في الذاكرة في منطقة معينة من العالم، أي سوء استعمال الذاكرة، مقابل نقص تام في الذاكرة في مكان آخر، أي سوء استعمال للنسيان وهو ما يترتب عنه هشاشة في الذاكرة **(Paul Ricoeur,2000,p98)** وهذا ما يبين أن

التحدي الاكبر الذي يواجه الذاكرة انما يكمن فيما تتعرض له هذه الاخيرة من تلاعب واستغلال instrumen /explotation تساهم في ظهور اشكال سلبية من الذاكرة، كذاكرة تعاني إما افراط في التذكر او قلة فيه، بخاصة من جهة ارتباطها بالهوية، حيث تظهر الذاكرة هشاشتها وسهولة تعرضها للاستغلال والتلاعب، ومن العوامل التي تؤدي الى التلاعب بالذاكرة وهشاشة الهوية وضعفها نجد :

1- عامل الزمن وما يترتب عنه من طابع ادعائي مزعوم للهوية.

2- العلاقة النزاعية بالآخرين أوالمواجهة مع الغير الذي نشعر به كتهديد هذا الآخر الذي ندركه كخطر على هويتنا الخاصة بنا، ما يجعلنا نقصي الآخر ونرفضه.

3-العلاقة بميراث العنف التأسيسي "العنف المؤسس" ذلك أن كل دولة نشأت بعد حرب فما نحتفل به كأحداث مؤسسة هو عبارة عن أعمال عنيفة اكتسبت شرعيتها بعد وقوعها عن طريق دولة القانون والذاكرة لأقدميتها، وهي تعني للبعض المجد وللبعض الآخر المذلة، وهذه الاحتفالات من جهة أخرى تقابلها الكراهية، وهكذا تخزن في أرشيف الذاكرة الجماعية جروح حقيقية ورمزية**(Paul Ricoeur,2000,p99)**

ومنه ففي هذا المستوى من سوء استعمال الذاكرة يتحدث بول ريكور عن الأيديولوجيا بوصفها فضاء للذاكرة المتلاعب بها، حيث تواجه الذات سياسة تخريب والغاء الذاكرة، وهو ما يظهر مثلا في الغاء اسماء تاريخية قديمة لشوارع ومدن واستبدالها بأسماء اخرى وكذا التدمير القصدي للآثار والشواهد التاريخية كما فعل المستعمر الفرنسي في الجزائر مثلا وذلك لتحقيق اغراض سياسية عن طريق التلاعب بالذاكرة ومحو معالم الهوية الوطنية والغائها، أي اللعب على وتر التذكر وتفعيل فعل التنسية والانتقاء النفعي المصلحي للذكريات.

<u>3/4 :المستوى الأخلاقي السياسي</u>: الالزامية obliger أو ما يصطلح عليه بالذاكرة المأمورة أي الذاكرة المبنية سلفا، في هذا المستوى يتحدث ريكور عن شكل آخر من الاساءة في استعمال الذاكرة، وهي شبيهة نوعا ما للشكل الثاني، لكنها أكثر منها خطورة أين تكون السلطة مهيمنة ومسيطرة كليا بحيث لا مجال للفرد ولا للجماعة في استعمال الذاكرة.

هذا الشكل من الإساءة يصاحبه اضطرابات ذاكرة تستحضر تعسفيا، ويتم السيطرة عليها بشكل سيء جدا، عبر تلقين الأطفال معارف تاريخية مفبركة وكاذبة يتم فيها الغاء كل ما يمس

شرعية السلطة، ومن خلال افساد ذاكرة الأطفال ينشأ جيل بأكمله يحمل ذكريات لا تعكس حقيقة الواقع التاريخي المعاش، فعلى هذا المستوى الظاهر تكون الظاهرة مفروضة فرضا مسلحة بتاريخ مسموح به هو "التاريخ الرسمي"، التاريخ الذي يعلم ويحتفل به علنا أمام الجميع، فالذاكرة المتدربة هي على الصعيد المؤسساتي ذاكرة تلفت التعليم، فالحفظ غيبا وبالإكراه لا يستخدم لصالح إعادة تذكر تقلبات التاريخ المشترك المؤسس للهوية المشتركة **(Paul Ricoeur,2000,p104)**

وعليه فخطورة وشدة هذه الإساءة يكمن في السيطرة التامة التي تفرضها السلطة على الذاكرة الاجتماعية وتحكمها بحيث لا تترك أي مجال للنقد أو التفكير أو التشكيك في مدى صدق هذه الذاكرة المروية والمفروضة على القبول، وعلى اثر هذا الاستعمال تضيع حقيقة الذاكرة التاريخية والهوية المشتركة بين الذات والآخر.

لا شك أن الحديث عن أشكال استعمال وإساءة استعمال الذاكرة ومدى خطورتها، يطرح سؤال الحل وسبيل التجاوز، فيا ترى كيف يمكن صون الذاكرة من مختلف أشكال الاستغلال والتلاعب الايديولوجي؟ وكيف يتسنى لنا استعمالها استعمالا عادلا ومنصفا؟

5. سياسة الذاكرة العادلة :

يجيبنا بول ريكور هنا بأن تنقية الذاكرة من كل هذه الإساءات في الاستعمال وتحويلها إلى أداة فاعلة وفعالة، لا يتحقق إلا من خلال وضع سياسة للذاكرة أطلق عليها مسمى سياسة الذاكرة العادلة؛ فما المقصود بها؟ و ما هي وظيفتها وما الواجب المنوط بها ؟

إن إقامة سياسة ضابطة ومنظمة وحامية للذاكرة الإنسانية كان بمثابة الهدف الأساسي الذي سعى ريكور إلى تجسيده في أواخر سنوات حياته، نظرا لما عاشته الإنسانية في العقود الأخيرة من حروب ونزاعات دامية بلغ بعضها حد جرائم الإبادة على بعض البلدان من هذا العالم، الأمر الذي استلزم ضرورة انصاف هذا الإنسان في مختلف أبعاده الوجودية، وذلك من خلال التفكير في وضع استراتجيات سياسية وقانونية أخلاقية تضمن التعايش السلمي في أفق كوني مشترك، فكانت سياسة الذاكرة العادلة أحد أبرز هذه الاستراتيجيات، وفي هذا يقول ريكور "إن ما يجعلني اضطرب هو المشهد المقلق حين ترى الفائض من الذاكرة من هنا والفائض من النسيان في مكان اخر، هذا إذا لم نقل شيئا عن مدى التأثير وإقامة الاحتفالات بذكرى أخرى وعن مدى اساءة استعمال الذاكرة وكذلك

النسيان تشكل بهذا الصدد فكرة سياسة قائمة على ذاكرة عادلة احد موضوعاتي المدينة المعلنة" **(François Dosse, 2013,p7)**.

يرى ريكور أن تجاوز ما تتعرض له الذاكرة من مختلف أشكال الاساءة يتم من خلال الالتزام بعمل الذاكرة المتمثل في ممارستها **للنقد** عبر تحقيق وتصنيف وفرز كل شيء، فليس دور الذاكرة أن تحفظ الماضي بكل تفاصيله الصغيرة والكبيرة ولا أن ترمي كل ما له علاقة بالماضي في سلة النسيان، بل لا بد أن يكون عملها عملا حيويا ينظر إلى الماضي لا نظرة المتقبل بل نظرة المتفحص المشكك والناقد عبر فحص اثار ومخلفات الماضي وسبر اغواره، والتمييز بين ما هو ماضي وبين ما هو حاضر، وأن نجعل من الماضي سندا لفهم ووعي الحاضر وتفادي امكانية حدوث المساوئ والعنف في المستقبل، فالاعتراف بالماضي هو ما يميز الذاكرة لأن الذاكرة الأصلية ليست مجرد إعادة للماضي بل هي تعرف واعتراف بأن هذا الماضي قد كان في زمن وانتهى.

إن عمل الذاكرة يستلزم النقد الذي يمكن من خلاله فتح العلاقة بين التاريخ والذاكرة، وهو الامتياز الذي يسمح ليس فقط بتوسيع الذاكرة الجماعية إلى ما وراء كل ذكرى فعلية، بل كذلك بتصحيح ونقد وحتى تكذيب ذاكرة مجموعة معينة حين تتكمش وتنطوي على ذاتها وتغلق أبوابها لتعيش داخل ألامها الخاصة بها حتى أنها تصبح عمياء وصماء أمام آلام الجماعات الأخرى، حيث تصادف الذاكرة معنى العدالة عن طريق هذا النقد التاريخي **(Paul Ricoeur,2000,p650)**، عن طريق هذا النقد والتفنيد التاريخي تلتقي الذاكرة بمعنى العدالة، وهنا يصبح عمل الذاكرة واجب يسند للذاكرة العادلة Devoir De Mémoire هذه الذاكرة التي لا بد أن تكون في موضع بين الكثير جدا والقليل جدا حتى تستطيع أن تتجاوز التحديات التي تواجهها نتيجة سوء الاستعمال والتلاعب الذي يجعل منها ذاكرة سلبية، إذ كيف تكون الذاكرة سعيدة إذا لم تكن في ذات الوقت عادلة.

4-1 واجب الذاكرة العادلة : عمل بول ريكور على جر الذاكرة الى منطقة متعددة حتى تكون عادلة، فواجب الذاكرة هو واجب اقامة العدل عن طريق الذكرى لآخر غيرنا كذات مماثلة لذاتي **(Paul Ricoeur,2000,p108)**، لا أن تكون متجبرة أو طاغية تفرض هيمنتها المختلفة، كما أنها ملزمة بإلغاء تمركزات الذات وانغلاقها على ذاتها هنا يتجلى دور التاريخ في

توسيع الذاكرة ونقدها وفحصها، إذ من المهم جدا أن تعرف الأجيال ما يحدث حتى لا يضيع حق الضحايا الذين ذهبوا بفعل تقلبات التاريخ ومفاجآته **(بول ريكور،2016، ص14)**، لذا فعلى التاريخ ان يصوب ذاكرة الجماعة الانسانية حين تنعزل وتنغلق على تاريخها وذكرياتها الخاصة الى الحد الذي تتعامى فيه وتصمت عن معانات والام جماعات انسانية اخرى.

وعليه فواجب الذاكرة هو شرط تحقيق العدالة للأخر كذات مماثلة لذاتي، هذا التصويب لذاكرة الذات المنغلقة على ذاتها هو تأسيس **نقدي لذاكرة** تساهم في انصاف ذاكرة الاخر وعدم نفيها والاساءة لها بإعطائها ما تستحقه من اهتمام ومحافظة واستحضارها وتخليدها بنصب تذكارية، فإذا ما تمكنت الذات من تحقيق هذا الانفتاح الذاكراتي تجنبت تكرار ما حدث من مآسي العدوان والحرب وسلمت الانخراط في سلوكات عدائية يتوارثها السلف عن الخلف من شأنها العبث بآدمية الانسان والاستهتار بقدسيته ووجوده وحقه في الأمن والاستقرار **(بول ريكور،2016،ص14)**، لهذا فالإنسان دائما بحاجة إلى ذاكرة بناءة ناقدة تجعل من التاريخ في خدمة الحياة، أي ضرورة امتلاك القوة واستعمالها من حين لآخر من أجل تحطيم ماض ما ونقضه وجره إلى المحكمة والتحقيق معه بصرامة حتى نتمكن من بلوغ الهناء في الحياة **(بول ريكور،2019،ص33)**،

إن سياسة الذاكرة العادلة هذه لا تعني الوقوف عند مطلب واجب الذاكرة فقط، وانما تحيل الى مختلف المبادرات المتصلة بالوفاق والمصالحة في الحاضر والمستقبل وانزال الماضي في منزلته المحددة، وذلك درئا لتجاوزات استخدام الذاكرة **(الزاوي بغورة، 2012، ص49)**، إذ لابد أن تتسلح الذاكرة بقيم أخلاقية سامية توجه الذات في مسيرتها الحياتية مع الآخر، كقيم العدل والانصاف والاعتراف بهذا الآخر وبذاكرته وبحقه في ذاكرة مشروعة.

إن تحقيق المصالحة السياسية وتجسيد الذاكرة العادلة، لا يكون إلا من خلال انصاف الطرف الآخر وذاكرته وعدم تهميشه، هذا الآخر الذي يعتبره ريكور طرفا مشاركا في صناعة ذاكرتنا التاريخية، من خلال مشاركته في مختلف المواجهات والأحداث، إذ أن اعترافنا بذواتنا كذوات مستقلة أو حتى كذوات مجتمعة لا يكون إلا من خلال الاعتراف بالآخر والمجتمعات الأخرى، فهناك الآخر كجسد، ولكن هناك أيضا الآخر من حيث هو غير هذا المتجلي، بوصفه محاورا على صعيد الخطاب وخصم على صعيد التفاعل، وأخيرا هناك آخر بوصفه حاملا لتاريخ آخر غير الذي هو لي تتواشج فيه روايات الحياة **(بول ريكور،2006، ص106)**، لهذا فواجب الذاكرة هو واجب اقامة

العدل عن طريق الذكرى لآخر غيرنا، هذا الآخر الذي يعد وسيط لفهم ذواتنا،... لكن لماذا العدل دون غيره من الفضائل؟.

إن تطعيم الذاكرة بقيمة العدل عند بول ريكور يجد مبرراته الفعلية في أن العدالة هي التي تستخرج من ذكريات الصدمة قيمتها المثالية فتقلب الذاكرة إلى مشروع، هذا المشروع الذي يعطي لواجب الذاكرة شكل المستقبل والأمر، إضافة إلى ذلك نجد أن الصلة بين واجب الذاكرة وفكرة العدالة تتحدد من حيث أن فضيلة العدالة، ومن بين كل الفضائل، هي الفضيلة التي تتجه بطبيعة تكوينها وامتيازها نحو الغير، بل يمكن أن نقول أن العدالة تشكل العنصر المكون لغيرية كل الفضائل، وهي التي تنقذها من اختصار الطريق بين الذات عينها كآخر(**Paul Ricoeur,2000,p108)**

وعليه فلقد اختيرت فضيلة العدل دون غيرها من الفضائل، كونها الفضيلة التي تدرج الاخر طوعيا في حياة الذات عينها، لذا ينبغي لنا ونحن نتذكر ذواتنا أن نتذكر غيرنا، لأنه جزء منا؛ بل جزء من تاريخنا فليس من العدل أن يتذكر المنتصر بطولاته دون أن يتذكر ما خلفه من دمار مادي ومعنوي بالآخر، ولا هو من العدل أن نؤرخ لمقتل واعتقال جنودنا دون تاريخ مقتل الآخر، لهذا يدعو ريكور هنا الى أنه يجب على الذاكرة أن تتحرك لتتحمل مسؤولية الدَّين، أي ضرورة ادخال مفهوم جديد هو مفهوم الدَّين مع عدم إغلاقه على مفهوم المذنب، ذلك أن فكرة الدَّين لا تتمفصل عن فكرة الميراث فنحن ندين لأولئك الذين سبقونا بقسم مما نحن فيه، وعليه فواجب الذاكرة لا يقتصر على الاحتفاظ بالأثر الكتابي وغير المكتوب للوقائع الغابرة بل أن تنمي الشعور بأننا ملزمون نحو هؤلاء الآخرين الذين سنقول عنهم لاحقا أنهم لم يعودوا موجودين لكنهم سبق أن كانوا (**Paul Ricoeur,2000,p108)** ، فشرعنة واجب الذاكرة هو واجب العدالة، أي واجب تحمل مسؤولية الدَّين الذي ندين به للسابقين، كما سيتحمل الجيل اللاحق مسؤولية ما يدينوننا به لنا، فهذا الاخر ليس بعيدا عنا، وكل ابعاد له هو ذنب نقترفه في حق أنفسنا، إذ نصبح غير قادرين على فهم حاضرنا ولا استشراف مستقبلنا، لهذا لا بد أن نحفظ ذكرى الآخر وأن نحتفظ بذكرى الآلام والجروح حتى لا ننسى وحتى لا يتكرر اليوم رعب الامس **(بول ريكور،2016، ص16)** فالماضي ما هو إلا فترة للتجارب لابد أن نتعلم منها دروسا تنفعنا وتضمن سعادتنا وبقائنا في الحياة،

هكذا يصبح واجب الذاكرة واجب الانصاف والعدالة بين الذات والآخر، لأن الذات لا تتشكل إلا من خلال الآخر ومن ثم فالتعايش بين الذات والآخر يتطلب تعايش ذاكرة الذات وذاكرة الآخر والقبول المتبادل بينهما للذاكرة المشتركة، لأنني عندما أتذكر فالآخر هو من يدفعني لذلك، إذ لا يمكن للذات أن تستذكر ولا أن تبني ذاكرتها بمفردها فهي دائما بحاجة إلى معونة الآخر لما له من قدرة على الحفظ والاسترجاع، ففي كل مرة تقرر فيها الذات ألا تنغلق على ذاتها ولا أن تنعزل وأن تعيش مع الآخر ولأجله يحدث اعتراف به حين يصبح تقدير الاخر كالذات عينها وتقدير الذات عينها كآخر **(بول ريكور، 2005، ص 382)** هنا فقط تسمو الانسانية بعقلنة اخلاقية.

لكن يا ترى هل الاعتراف بذاكرة الآخر كاف لتجاوز مظاهر الحروب وتحقيق ذاكرة عادلة؟

يرى بول ريكور أن السبيل الامثل لتجاوز الصراع والحرب التي لا تزال تعيشها الدول حاليا كإسرائيل وفلسطين وايرلندا وانجلترا، يكمن في تغيير ذاكرتها التاريخية وقدرتها على أن يتعلما كيف ينظر كل منهما إلى الآخر بعيون جديدة، إذ ربما يقودنا الاعتراف بالأسس السردية المؤسسة لهويتنا الخاصة إلى إرادة قوية في تخيل جديد للعداء التاريخي بينهما**(الزاوي بغورة، 2012، ص47)** وهذا يتطلب اصدار مرسوم عفو عام لا بمحو للذاكرة الدامية وإنما اعمال الذاكرة وخدمتها لما يساعد على **العفو والصفح والغفران** عما سلف وتحرير الماضي من محدوديته ومن نزعة التعصب ومن هاجس العنف والانتقام، إذ لا يتعلق الامر هنا بنسيان الأحداث نفسها ولكن بإقرار معان مختلفة لما تحويه ذاكرتنا، وذلك من خلال حشد طاقتنا لخلق ذواتنا من جديد ومن أجل مستقبل جديد**(الزاوي بغورة، 2012، ص47)**.

لكن ما هو دور العفو والصفح في سياسة الذاكرة العادلة؟

إن الصفح والعفو وحتى الغفران حسب بول ريكور ليس إسكات للشر، وإنما هو التعبير عنه بلغة ساكنة مسالمة، وبالتالي يعد الصفح حلا لمشاكل الذاكرة والتاريخ والنسيان **(الزاوي بغورة،2012، ص58)**، فالعفو هو من يسمح بالتوسط في تدبير الذاكرة بين الغلو في التذكر والمبالغة في النسيان، نعم إن الصفح ليس سهلا ولكنه ليس مستحيلا، فإقامة الذاكرة السعيدة يكون بالصفح والعطاء والهبة والوعد، فالصفح هو شفاء للذاكرة وانهاء لحدادها فيمنح للذاكرة مستقبلا جديدا.

يرى ريكور أن الذاكرة إذا ما انكفئت على نفسها وأخذت تردد على نفسها قصص المعارك التي كسبناها والتي خسرناها فستظل تكرر وتؤكد العداءات القديمة، فتصبح الذاكرة هنا بمثابة سجن، ونحن على كل حال محتاجون إلى ذاكرة تحرص انجازاتها ومعاناتها الماضية لتضمن سعادتها في الحاضر والمستقبل، وهذا لا يكون إلا من خلال ذاكرة العفران التي تستطيع ان **تغفر وتسامح** وتتجاوز احزانها وتاريخها الشقي المؤلم، بحيث لا يمكن لها أن تغفر لولا أننا نسينا علينا أن لا ننسى إنما لا بد أن نتبادل ذاكرات الآخرين بحيث تصبح عداءاتهم جزءا من عداءاتنا وجرائمهم جرائمنا**(بول ريكور،2016،ص16)**، هكذا فقط يعاد الاعتبار **للآنا** الانسانية في علاقتها **بالآخر**، بحث تصبح "**أنا قادرة**" أي فاعلة واعية خالقة لعالمها مشكلة لذاتها وصانعة لأحداثها، فالشقاء الذي يخلقه التاريخ تتغلب عليه **الذاكرة السعيدة** التي تعلن قدرة الفرد على تجاوز أحزانه والعودة إلى فطرته التي لا تغيرها أي مآسي ما تجعل من كل البشر قادرون على **التعايش** في سلام.

إن الذاكرة العادلة ليست تلك القادرة على احياء الذكريات وممارسة فن التذكر بجدارة وأصالة، ولا تلك القادرة على النسيان بالمعنى السلبي بل هي الذاكرة القادرة على الصفح والنسيان بالمعنى الايجابي الذي يؤدي الى التطهر والعلاج والتصالح مع الذات، فالصفح وحده من يستطيع اعادة تأويل أحداث تاريخية ماضية واستكمال الآمال والرغبات وبلوغ ذاكرة سردية سعيدة ومرتاحة وذلك بالعثور على الحاضر والانتباه الى الراهن والاحتراس في المستقبل.

إن اعتبار بول ريكور الصفح والغفران وكذا النسيان أساس لقيام ذاكرة عادلة تمنح للإنسان التفاءل بمستقبل أفضل للإنسانية، يجعلنا نتبصر أن هذه الرؤية تخفي خلفها ما لم يرد ريكور التصريح به، فهي رؤية تكشف عن حضور الطابع الديني المسيحي الذي ظل مسيطرا على توجه ريكور في محاولته انقاذ الذاكرة الإنسانية من جراحها التي عاشتها خلال تلك الفترة، ذلك أن الصفح والغفران والمغفرة تبقى سمة من سمات الرب، هذا فضلا على أن هناك من أشكال الإبادة والجرائم والأخطاء التي ارتكبت في حق بعض البشر بشكل فضيع ولا إنساني يجعل معها من الصعب بل ومن المستحيل فتح باب النسيان والصفح والغفران، بل نكون ازائها بحاجة إلى مراجعة ومواجهة بالنقد وتفعيل الأسئلة العميقة التي تكشف مقدار الشر الجدري المختفي وراء تلك المظاهر من العنف

والحرب، كما أننا في كثير من الأحيان عندما نعفوا عمن جرحنا فإنه قد لا يعرف مقدار ذلك العفو فيلحق بالذاكرة بدل الجرح جرحان، لهذا فاللجوء الدائم إلى الصفح والغفران واعتماد النسيان لا يساعد دائما الذاكرة في أداء عملها وواجبها، لأن كثرة التسامح تكون أحيانا اهانة للذات واذهاب لهيبتها واهدار لحقوقها وفقدان لكرامتها وهو ما يعمق من سبل النزاع بين الذات والآخر بدل التفاهم والتعايش.

6-خاتمة

نخلص في نهاية هذا المقال إلى القول أن الإنسان لا يمكنه أن يعيش دون ذاكرة ولا ماضي، فمن لا يعرف ماضيه محكوم عليه بتكراره، لهذا عمل بول ريكور على تجاوز النظرة الكلاسيكية للذاكرة على أنها تمثيل لماضي تاريخي والبحث فيها بوصفها مشروعا للمستقبل، من خلال العمل على تأسيس سياسة لذاكرة إنسانية عادلة تقوم أساسا على تمكين الإنسان من تجاوز أشكال اساءة استعمال الذاكرة والنسيان معا؛ وتتيح له فرصة للتذكر والنسيان مع الصفح والعفو، فعوض أن يظل الإنسان حبيسا لإرادة الذاكرة المنغلقة على ذاتها وآلامها وجراحها التاريخية الماضية، عليه أن يفتح المجال أيضا لإرادة النسيان، هذه الارادة هي المرتكز الامثل للانا القادرة التي تستطيع أن تعفوا وتصفح لكن دون أن تنسى، سعيا نحو بناء ذاكرة سعيدة خالية من الهموم متحررة من الماضي ومن تعصبه وتعسفه ومن هاجس العنف والانتقام، بحيث تجعلنا قادرين على التعايش في أفق كوني مشترك مع الآخر، ولعلنا اليوم بحاجة ماسة للحديث عن ذاكرة عادلة تستعيد من خلالها بعض شعوب العالم التي عانت ولا تزال تعاني إلى اليوم من ويلات الإستدمار والعدوان حقوقها وحرياتها كالحديث عن ذاكرة عادلة اتجاه الشعب الفلسطيني والاعتراف بحقهم في تقرير مصيرهم واقامة دولتهم في أرضهم.

7-المصادروالمراجع:

المؤلفات:

- بول ريكور، الانتقاد والاعتقاد، ت حسن العمراني، ط1، دار توبقال، المغرب، 2011.
- بول ريكور، الذات عينها كآخر، ت جورج زيناتي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005.

- بول ريكور، الذاكرة والتاريخ والنسيان، ت جورج زيناتي، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2009.
- بول ريكور، الذاكرة والسرد حوارات، ت سمير مندي، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2016.
- بول ريكور، بعد طول تأمل، ت فؤاد مليت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر، 2006 .
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، جزء1.
- جويل كاندو، الذاكرة والهوية، ت وجيه أسعد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2009.
- الزاوي بغورة، الاعتراف من أجل مفهوم جديد للعدل دراسة في الفلسفات الاجتماعية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2012.
- فريدريش نيتشه، محاسن التاريخ ومساوئه، ت رشيد بوطيب، ط1، منتدى العلاقات العربية والدولية، الدوحة، 2019.
- محمود عواد، معجم الطب النفسي والعقلي، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2006.
- François dosse, paul ricoeur :penser la mémoire, ,les éditions du seuil, paris, 2013.
- Paul Ricoeur, La mémoire, l'histoire, l'oubli, éditions du Seuil, 2000.

المقالات :

- وجيه كوثراني، الذاكرة بنظرة مؤرخ، مجلة تبين، المجلد9، العدد33، 2020، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، معهد الدوحة للدراسات قطر.